



إيبارشية جنوبي الولايات المتحدة الأمريكية

الرسالة الشهرية للرهبان والراهبات والمكرسين والمكرسات

فبراير 2018

أحبابي،

سلام ونعمة.

دعونا نواصل هذا الشهر مناقشتنا حول النذور الرهبانية الثلاثة، ونختتم المناقشة مع النذر الأخير المتبقي، وهو نذر العفة. نذر العفة، كما هو الحال مع النذرين الآخرين، متعدد الأوجه، فهو لا يقتصر على الطهارة الجسدية فقط، وإنما يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك... أنا أؤمن أننا لسنا مدعويين لعفة الجسد فقط، ولكننا مدعويين أيضاً لعفة العقل، وعفة اللسان، وعفة القلب كذلك. عادةً يقولون إن الراهب هو فكرة، بمعنى أن معاركنا هي مع أفكارنا، وليس مع بعضنا البعض، ولا مع ظروفنا الخارجية. هناك قول مأثور يقول: "إن تصورنا هو واقعنا". وبالتالي كيفية تفسيرنا للأمور هي التي ستصنع الفارق في ردود أفعالنا، ونمو خبراتنا، وليس الموقف نفسه في حد ذاته. ترى كيف ستكون الحرية التي يمكن أن نتمتع بها، إذا نحن أبقينا عقولنا خالية من تلك الأفكار المثيرة للقلق التي تبعدها عن ملكوت الله؟! قيل عن القديس أنبا أغاثون: "أنه إذا رأى أمراً أو عملاً، وأراد فكره أن يدين هذا العمل أو يحكم عليه، كان يخاطب نفسه قائلاً: «أغاثون. ليس من شأنك القيام بذلك». وهكذا كانت أفكاره تهدأ"⁽¹⁾

وعندما أمهين القديس يوحنا القصير من أحد اخوته علناً، أجاب قائلاً: "هذا صحيح تماماً يا أبي، لقد قلت هذا لأنك رأيت ما في الخارج فقط، ماذا كنت ستقول عندئذ لو رأيت ما في الداخل أيضاً؟!"⁽²⁾

يمكننا أن نسرد مئات القصص المشابهة لمثل هذا التواضع العظيم، لهؤلاء المجاهدين الذين جاهدوا مع أفكارهم، لكن يكفي أن نقول ذلك: إننا كجنود صالحين ليسوع المسيح، مدعويين دائماً إلى محاربة وطرد الأفكار الخبيثة ذات الآثار المدمرة التي تلوث ضمائرنا. فما الفائدة لنا من الإبقاء على الأفكار السلبية واسترجاعها في الفكر؟ هل سبق لك أن استفدت شيئاً من مثل هذه الأفكار؟ والأكثر ضرراً لنا إذا كنا مخطئين فيما نفكر فيه. قال أنبا إلياس: "راقب أفكارك، واحذر مما لديك في قلبك وروحك، مع العلم أن الشياطين يضعوا فيك الأفكار من أجل افساد روحك، فكما تفسد نفسك من خلال تفكيرها في الأشياء غير الصحيحة، هكذا تفسد روحك، وتتحول عن النظر إلى خطاياك والتأمل في الله"⁽³⁾

هناك العديد من البركات التي يمكن نوالها من قبول الملامة على أنفسنا، والتماس الأعذار لأخوتنا، وأيضاً من مسامحة الآخرين. لكن لا توجد أي بركات إطلاقاً من قبول الأفكار السيئة. وعلاوة على ذلك، فإن الحفاظ على عفة لساننا، ليس هو مجرد التوقف الظاهري عن القيل والقال (النميمة)، بل هو أيضاً السيطرة على أنفسنا ضد الثثرة واللغو. نقرأ في سفر الأمثال: "مَنْ يَسْتُرْ مَعْصِيَةَ يَطْلُبُ الْمَحَبَّةَ، وَمَنْ يُكْرِزُ أَمْرًا يَفْرِقُ بَيْنَ الْأَصْدِقَاءِ" (أم 17:9). وهذا يوضح أن الفرقة بين الأصدقاء، هي أحد النتائج المؤسفة للنميمة وتكرار عرض المسائل. نحن كثيراً ما نثير استياء الله عندما نتكلم بالسوء عن بعضنا البعض. وقد قيل صراحةً، إن أحد الأشياء التي يكرهها الرب هي: "زَارِعُ خُصُومَاتٍ بَيْنَ إِخْوَةٍ" (أم 6:19). ومع ذلك، الأمر لا يتوقف عند هذا الحد. فيجب علينا أن نتذكر أن حياتنا قد كُرسَتْ تماماً لله، وخصصت للتسبيح والعبادة، وبالتالي فعندما نكون، في كثير من الأحيان، نقضي وقتاً في النميمة والثثرة مع بعضنا البعض، نكون قد نسينا هدفنا الذي جننا من أجله، وتجاوزنا حدودنا نحو الدالة الخاطئة، التي قد تم تحذيرنا منها قبلاً.

يقول أنبا بيمين: إن أحد الأخوة سأل الأب سمعان قائلاً: "إذا غادرت قلايتي ووجدت أخي مشغولاً (بتسليية نفسه)، فانشغلت معه. وإذا وجدته يضحك، فضحكت معه، لا أشعر عند عودتي إلى القلاية أن في قلبي راحة. قال له الشيخ: حسناً. وهل تريد أن تغادر قلايتك فتشغل

(1) أقوال الآباء الشيوخ، القديس أنبا أغاثون، ترجمة معهد يوحنا الدمشقي، منشورات النور 1990، بيروت، ص62.

(2) أقوال الآباء الشيوخ، القديس يوحنا الكولوفي، ترجمة معهد يوحنا الدمشقي، منشورات النور 1990، بيروت، ص133.

(3) The sayings of the Desert Father: the alphabetical collection, Ward, B., trans. (Kalamazoo: MI: Cistercian Publications, 1975), P.71.

نفسك مع المنشغلين، وتضحك مع الضاحكين، ثم تعود إليها، وتبقى كما كنت قبل أن تغادرها؟! قال له الأخ: ماذا علي أن أفعل؟ رد عليه الشيخ: «صن نفسك في القلاية وخارجها»⁽⁴⁾.

وأخيراً، والأهم من ذلك، يجب علينا أن نحفظ عفة قلوبنا. "طُوبَى لِلْأَتْقِيَاءِ الْقُلُوبِ، لِأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللَّهَ" (مت5: 8). لأنهم... يعاينون الله! ماذا يمكن أن يقال إذاً عن أولئك الذين يسمحون للأفذار، بالدخول إلى قلوبهم بسهولة حتى تجد فيها موضعاً تستقر فيه. "لَمْ تُقَاوِمُوا بَعْدُ حَتَّى الدَّمِ مُجَاهِدِينَ ضِدَّ الْخَطِيئَةِ" (عب12: 4)

إن قلبنا هو خزانتنا، وبالحفاظ على قلوبنا نقية، فإن أفكارنا وكلماتنا لن تخوننا قط، "فَإِنَّهُ مِنْ فَضْلَةِ الْقَلْبِ يَتَكَلَّمُ الْفَمُ" (مت12: 34)، وأيضاً "كثُرَةُ الْكَلَامِ لَا تَخْلُو مِنْ مَعْصِيَةٍ، أَمَّا الضَّابِطُ شَفَتَيْهِ فَعَاقِلٌ" (أم10: 19)

أنه ليس بدون سبب قد تحدث شيخو الرهبنة القدامى كثيراً عن نقاوة القلب، وحراسة الأفكار، وحفظ الصمت والسكون. فمن خبراتهم الواسعة عرفوا جيداً أسرار الحياة. "فَوْقَ كُلِّ تَحْفَظٍ أَحْفَظُ قَلْبِكَ، لِأَنَّ مِنْهُ مَخَارِجُ الْحَيَاةِ" (أم4: 23).

داخل هذه الخزانة [قلوبنا] نحوز ملكوت السموات. فإذا كنا نهم اهتماماً هذا مقدارها بأجهزتنا الإلكترونية، فكم بالبحري يجب أن يكون اهتمامنا بالحفاظ على ملكوت السموات داخل قلوبنا؟!

يجب علينا إلا ننسى ذلك أبداً، ونصلي من أجل نوال النعمة، لنقاتل، ونكون في منتبهي الحرس للحفاظ على عفة قلوبنا. أَدْعُو اللَّهَ أَنْ تَكُونَ بَدَايِكَ لِلْعَامِ الْجَدِيدِ بِدَايَةِ قَوِيَةٍ، وَتَسْتَمِرَّ فِي النَّمُو يَوْمًا فَيَوْمًا، مَتَعَلِّمًا مِنْ كُلِّ تَجْرِبَةٍ تَوَاجَهَهَا، جَيِّدَةً كَانَتْ أَوْ صَعِبَةً. أَدْعُو لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ أَنْ يَثْبِتَهُ اللَّهُ فِي دَعْوَتِهِ، وَيَمْنَحَهُ حَيَاةَ الْأَمَانَةِ فِي تَنْفِيذِ الْوَصَايَا، وَالْإِخْلَاصِ لِنُدُورِهِ الرَّهْبَانِيَّةِ الَّتِي هِيَ الْعَمُودُ الْفَقْرِيُّ لِمَسْلِكِنَا الرَّهْبَانِيِّ الَّتِي اخْتَرْنَاهُ. فَعِنْدَمَا نَحَافِظُ، بِنِعْمَةِ اللَّهِ، عَلَى التَّذَكُّرِ الدَّائِمِ لِنُدُورِنَا الرَّهْبَانِيَّةِ وَنَضْعُهَا نَصْبَ أَعْيُنِنَا، سَنَنْظِلُ فِي ثِبَاتِنَا رَاسِخِينَ، بِغَضِّ النَّظَرِ عَنْ عِدَّةِ الْمَرَاتِ الَّتِي نَتَعَثَّرُ فِيهَا.

سلام ومحبة ربنا وإلهنا يسوع المسيح تكون معكم جميعاً.

والمجد لله دائماً. آمين